د. حسناء أقدح د. سراب يازجي

النّثر الأندلسي

السنة: **الثالثة** **المحاضرة**:

الفصل الثاني **الرّابعة**

مضمون المحاضرة: **المناظرات بين المدن**: (**من حيث المضمون، والأسلوب**).

المناظرات بين المُدن

تعريفها

❋ **هي ضربٌ من الأدب الوصفي الرّفيع، يقوم على المفاضلة بين مدينتين أو أكثر، أبدع فيه الأندلسيّون**، وأكثروا القول فيه.

❋ **وهذه المناظرات ليست جديدة في موضوعها، وليست من مستحدثات الأندلسيّين، إذْ نجد ما يُماثلها في الأدب المشرقي** كما في (**رسائل الجاحظ**) عن الأوطان والبلدان، وقد تنوّعتْ على أيْدي كُتّاب الأندلس، وبرزوا فيها، **فاستخدموا هذه المناظرات للوصف والمدح، إذْ اتّخذوها وسيلةً للثّناء على الأمراء والعظماء، ووظّفوا مُعطيات البيئة في الموضوعات التي تناولوها في مناظراتهم**؛ فعندما يُناظر الأديب بين مُدنٍ أندلسيّةٍ عِدّة إنّما يريد أن يُبرز جمالها ومحاسنها، وأن يذكر ما لهذه البيئة الأندلسيّة من خصائص وميزات تجعله يتعلّق بها، ويدافع عنها، فهي تُعبّر عن تعلّقه الشّديد بالبيئة، وبطبيعتها، والاعتزاز بالوطن، والإشادة بمظاهر الجمال والحضارة فيه.

❋ **ومن الكُتّاب الأندلسيّين الذين برعوا في كتابة المناظرات** (**أبو بحر صفوان بن إدريس التّجيبي**) من عصر الموحّدين، و(**لسان الدّين بن الخطيب**) من عصر بني الأحمر.

مناظرة أبي بحر صفوان بن إدريس بين المُدن

من حيث المضمون

مَن الكاتب؟	أبو بحر صفوان بن إدريس التّجيبي.
من أيّ عصر؟	من عصر الموحّدين.
إلى مَن أرسلها؟	خاطب بها الأمير الموحّدي عبد الرّحمن بن السّلطان يوسُف بن عبد المؤمن بن علي.
ما موضوعها (غرضها)؟	غرضها **مدح الأمير الموحّدي، والتّقرّب إليه، ووصف المُدن الأندلسيّة**، وبناها على حوار بين مُدن الأندلس، وفيها تفخر كلّ مدينةٍ بما خصّها الله به من مزايا ومحاسن دون سواها، وتقول كلّ مدينة: أنا أحقُّ بالأمير وأَوْلى.
أفكار المناظرة:	☐ **الفكرة الأولى:** يستهلّ رسالته بدعاءٍ للأمير مسجوع يقول فيه: ⇦ مثال: {**مولايَ أَمْتَعَ اللهُ ببقائك الزّمانَ وأبناءَه، كما ضَمَّ على حُبّكَ أحناءَهُم وأحناءَه، وأَوْصَلَ لكَ ما شئتَ من المَنِّ والأمان، كما نَظَمَ قلائدَ فَخرِكَ على لَبّةِ الدّهرِ نَظْمَ الجُمان. أَلْبَسْتَ الرّعيّةَ بُرودَ التّأمين، فتنافستْ فيكَ من نفيسٍ ثمين، فكَمْ للنّاس من أَمْنٍ بك وإيناس**}. ☐ **الفكرة الثّانية:** الحوار بين المُدُن: ⇦ مثال١: يقول: {**ولمّا تخاصمتْ فيكَ من الأندلس الأمصارُ، وطالَ بها الوقوفُ على حُبّكَ والاقتصارُ، كلّها يُفصحُ قولًا ويقول: أنا أحقُّ وأَوْلى، ويُصيخُ إلى إجابة دعوته، ويُصغي، ويَتْلو إذا بُشِّرَ بكَ: "ذلك ما كُنّا نَبْغي"**}. ⇦ مثال٢: يقول في إشبيلية (**حِمص الأندلس**): {**تميّزتْ حِمْصُ غَيظًا، وكادتْ تفيظُ فَيْظًا[1]، وقالت: أنا مِصرُ الأندلس، والنّيلُ نَهري، وسمائي التّأنُّس، والنّجومُ زهري، لي ما شئتَ من أبنيةٍ رِحاب، ورَوْضٍ يُستغنى بنُضرَتهِ عن السّحاب، فأنا أَوْلاكُم بسيّدنا الهُمام وأحقُّ، "الآن حصحصَ الحقُّ"[2]**}. ⇦ مثال٣: يقول بلسان قُرطبة: {**فنَظَرَتْها قُرطبة شَزْرًا، وقالت: لقد كَثَّرْتِ نَزْرًا،... في بقيعي محلُّ الرّجال الأفاضل، فلْيُرغَمْ أنفُ المُناضل[3]، وفي جامعي مشاهدُ ليلة القَدْر، فحَسْبي من نباهة القَدْرِ، فما لأحدٍ أن يستأثر عليَّ بهذا السّيّد الأعلى، ولا أرضى له أن يُوطِئَ غيرَ ترابي نَعْلًا، فأَقِرّوا لي بالأبوّة، وانقادوا لي على حُكم البُنوّة، وكُفّوا عن تَباريكُم، "ذلكمْ خيرٌ لكم عند باريكُم"[4]**}. ⇦ مثال٤: يقول بلسان غرناطة: {**فأنا أَوْلى بهذا السّيّد الأَعْدَل، وما لي به من عِوَضٍ ولا بدل، ولِمَ لا يعطف عليَّ عِنانَ مَجْدِهِ ويَثْني، وإنْ أنشدَ يومًا فإيّايَ يعني**} بلادٌ بها عَقَّ الشّبابُ تمائمي وأوّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدي ترابُها

[1] **الفيظ هو الموت.**

[2] **اقتباس من ألفاظ القرآن الكريم.**

[3] **المفاخر والمنازع.**

[4] **اقتباس من القرآن الكريم.**

	⇦ مثال٥: ثمّ يأتي بعد ذلك على التّوالي دورُ مُدنٍ أندلسيّة أُخرى، هي: (**مالقة، ومُرسية، وبلَنسية، وتُدمير**) التي تختم هذه المناظرة والشّرَرُ يتطاير منها بعد سماعها كلّ ما قيل، فتخاطب بَلَنسية في استنكارٍ وتهكُّمٍ قائلةً: {**عِشْ رجبًا تَرَ عَجَبًا[٥]... ما الذي يُجديكِ الرّوضُ والزّهرُ؟ أمْ ما يفيدكِ الجدولُ والنّهرُ؟ وهل يُصلحُ العطّارُ ما أفسدَ الدّهرُ؟**[٦]}. ☐ **الفكرة الثّالثة: كما لاحظنا**، تفخر كلّ مدينةٍ بمحاسن بها ترى أحقّ وأَوْلى بهذا السّيّد الأعلى، وإلى هذا الحَدّ تنتهي المناظرة، فيختم الكاتب رسالته كما بدأها بدعاءٍ طويلٍ مسجوعٍ للأمير.

«مناظرة أبي بحر صفوان بن إدريس بين المُدن»

من حيث السّمات الفنية (الأسلوب)

❋ ولمّا كان صاحب هذه الرّسالة من كُتّاب عصر الموحّدين فإنّها تمثّل حالة النّثر الأندلسي في هذا العصر الذي غلبتْ عليه طريقة القاضي الفاضل بكلّ سِماتها، وخصائصها.

فقد اعتمد في مناظرته هذه على:

الأمثال:	
الاقتباس من القرآن الكريم:	من دون أن يُشير إلى ذلك، فلا نجد عبارة (كقوله تعالى)، بل جاء الاقتباس في سياق الحوار والجدل.
السّجْع:	كما اعتمد على السّجْع اعتمادًا كبيرًا، واحتفى بألوان البديع الأُخرى كالجناس، وأكثرَ من أنواع التّشبيه، والاستعارات، والكنايات.
التّشخيص:	جعل المُدن كأنّها بشر يتحدّثون، ويتفاخرون.
الأسلوب القصصي:	اتّبع الأسلوب القصصي الذي يحقق الغاية، ويصل إلى الغرض، ويحقّق المتعة، وفي الوقت ذاته يُبرز قُدرة الأديب وبراعته في التّأليف.
المزج بين النّثر والشّعر:	إذْ ضمّن المناظرة بيتًا من شِعره.
الصّيغ الدّعائيّة:	كما تَرد الصّيغ الدّعائيّة في مقدّمة المناظرة، وفي الخاتمة، وسياق الحوار.

[٥] مَثَّل.
[٦] مَثَّل.

- في السِّمات الفنّيّة (الأسلوب) لم نذكر أمثلة عليها، لأنّ الأمثال والاقتباس من القرآن الكريم يجب أن يُكتبوا ضمن سياق الكلام، فالمطلوب منكم حفظ الأمثلة الواردة في (المضمون) وتوظيفها كأمثلة على السِّمات الفنّيّة أيضًا.
- مَن يكتب الاقتباس من القرآن الكريم خارج سياق المثال كاملًا لا يأخذ علامته.
- يكفي مثال واحد على الصّيغ الدّعائيّة الواردة في المناظرة.